الحياة البشريّة، إذ يؤدّون للصحّة تلك الخدمة المشتركة، وللجسد ذلك الإجلال المماثل، إنما يشهدون لنظرتهم الروحيّة إلى الانسان، ويعبّرون بذلك، في الوقت نفسه، عن اعترافهم بما نالوا من نعم الله، وعن رجائهم «أن يُبْعَثُوا فِي اليَوْمِ الآخِرِ».

وهناك أيضاً مظهر آخر من مظاهر عظمة الإنسان، أعني **كرامة الروح**: «إن الإنسان الذي يشترك في نور العقل الإلهيّ هو محقّ في اعتقاده أنه، بعقله الخاصّ، يتفوّق على عالم الأشياء» (الجذل والأمل، ١٥)، لبلوغ معرفة الحقائق الاختباريّة، واكتشاف الحقائق السامية وممارسة الحكمة. فمن الإجلال لكرامة العقل البشريّ إذن أن توفّر لجميع الناس الوسائل الوافية للتعلّم والتربية، وبلوغ الثروات الثقافيّة في كلّ أشكالها، لأن المؤمنين يحبّون أن يتبيّنوا في ذلك عمل روح الله، فيسعوا بالتالي الى المعاونة على خدمة ذلك العقل البشريّ في الإطار المميَّز للثقافات المتعدّدة الأديان والأجناس، كما في إطار المبادلات الثقافيّة الدوليّة.

وتتبدّى عظمة الإنسان أيضاً في **كرامة ضميره** النفسيّ أو الأخلاقيّ. لذلك يسعى المؤمنون إلى جعل التقدّم الماديّ والتقنيّ يساير التقدّم الأخلاقيّ والروحيّ. ويتساءلون عندئذ: هل صارت الحياة البشريّة أجدر بالإنسان؟ وهل أصبحت فيها مقتضيات الضمير أكثر دقّة ونبلاً وسُمُوًّا، أم هل بدأنا نشهد تقهقرًا أخلاقيًّا بفعل تدفّق التقنيّات الجديدة، ووطأة استهلاك منفلت؟ وحينئذ يدعو الإيمان الى التذكير بالقواعد الموضوعيّة لسلوك أخلاقيّ يتأصّل، آخر الأمر، في مشيئة الله المُحبّة للإنسان وللخليقة، والتذكير أيضاً بحقوق كل ضمير، ولو كان على ضلال، في الاحترام، قبل توضيح الأمور له، والتنشئة على الحرية الحقيقيّة.

وهكذا إذن ينتهي سرّ الضمير البشريّ إلى **كرامة الحريّة**. «وتقوم هذه الحريّة بأنه يجب أن يُصان الناس أجمعين من كل ضغط، سواء أكان من قبل الأفراد، أو من قبل فئات اجتماعيّة، أم من قبل أيّ سلطة بشريّة، فلا يُرغم إنسان على فعل ما يخالف ضميره، في الشؤون الدينيّة، ولا يُمنع من العمل ضمن الحدود الصحيحة بحسب ضميره، في السرّ أو في العلَن، وحده أو مع آخرين» (كرامة الإنسان، ٢). ويعرف المؤمنون بالخبرة أن ممارسة الحرّية بحكمة تفترض تنشئة وافية، وضمانات قانونيّة

واجتماعيّة. فعليهم إذن أن يعملوا معًا حيثما تكون الحريّات مهدّدة بالشطَط أو بالإلغاء، فيوفّروا لها التربية الضروريّة والضمانات المطلوبة.

ويستطيع المؤمنون، بالتعاون أوّلاً ضمن مجتمعاتهم الوطنيّة الخاصّة، ثم في إطار المؤسّسات الدوليّة، أن يظهروا إرادتهم الفعليّة أن يخدموا الناس مع جميع مواطنيهم، مهما كان انتماؤهم الدينيّ أو الايديولوجيّ. وفي الواقع من حقّ «منظّمة الأمم المتحدة» و«منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة» و«منظمة التغذية والزراعة» و«المكتب الدوليّ للعمل» و«المنظمة العالميّة للصحّة» و«صندوق الأمم المتّحدة للطفولة»... أن تعتمد على ما يَرفُدُها به بالتضامن جميع الرجال والنساء العامرة قلوبهم بالإيمان الحيّ. والغاية هي صون حقوق الشخص الإنساني، التي لا يمكن التخلّي عنها، في أي مكان. ثم إن المسيحيّين والمسلمين باعترافهم معًا بحقّهم في المشاركة الناشطة في أعمال الإغاثة المتخصّصة التي كثّروها في العالم، يعبّرون أيضاً عن رغبتهم الجامعة والمتجرّدة عن أيّ مطمع، في إنجاد كل ضيق. فهناك الكثير من الجمعيّات المسيحيّة أو الإنسانيّة من النمط الإسعافيّ أو الاجتماعيّ، أو التربويّ العاديّ أو المهنيّ، قبلت معاونة مسلمين راغبين في تقديم نصيبهم من المساهمة «لأعمال الرحمة» القائمة على هذا الأساس. ومن واجب الجميع، بلا ريب، أن يحترموا الدوافع الدينيّة المرتبطة على الخصوص بإيمان كل واحد. ولكن هذا الجهد المشترك المبذول هكذا لأجل الناس، سبيله أن يوفّر لهم فرصة للمزيد من التحاور في القيم العليا التي تجمعهم، ومن تطارح الكلام على مفهومهم القصِيّ لعظمة الانسان.

٣) من هم الأحقّ بهذه الخدمة؟

من الثابت أن شهادة المؤمنين لكرامة الإنسان تسمو بمقدار احترامهم تلك الكرامة وخدمتها عند الرجال والنساء الذين يَبْدون الأشدّ افتقادًا لها. إن اندفاعهم في سبيل التخفيف عن المستضعفين وتحريرهم، والتفريج عن اليتامى والمعوّقين وتربيتهم، والاعتناء بالبرص وذوي الأمراض العقليّة وتشديد عزيمتهم، لهو الدليل على إيمانهم بهذه الأعمال. وإن النشاط الذي يبذلونه بإظهارهم التفهّم للهامشيّين في